جذور التربية والتعليم في الصين حتى عام ١٩١١م

م.د ناطق عزيز شناوه الساعدي

الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية- قسم التاريخ

natiqaziz@uomustansiriyah.edu.iq

موبايل/ ٠٧٧٠٠٧٩٥٦١٠

جذور التربية والتعليم في الصين حتى عام ١٩١١م

م.د ناطق عزيز شناوه الساعدي

الملخص باللغة العربية:

دعم التعليم في الصين أركان الامبراطورية لقرون عدّة, وتجسد ذلك في اسناد الوظائف الحكومية للطلبة الذين اجتازوا الامتحانات الموحدة, ليكونوا ضمن الموظفين الأكفاء ممّن أداروا مفاصل الامبراطورية. ومثّل التعليم, على مر العصور, أحد المحركات الرئيسة لمجريات الأحداث في الصين, وفي جميع عهود حكم الأسر التي توالتْ على حكم الصين. كما أثرتْ التطورات التي حدثتْ خلال أواخر القرن الأخير من مدّة الدراسة بدورها في مجال التربية والتعليم, فجعلتْ الصين تواكب التطور في التعليم على غرار التعليم الغربي.

كلمات مفتاحية: كونفوشيوس, التعليم, الصين, مدارس القرى, الامتحانات.

Abstract

Education in China supported the pillars of the empire for centuries, as reflected in the assignment of government jobs to students who passed the unified examinations, to be among the competent employees who managed the joints of the empire. Education was, throughout the ages, one of the main drivers of events in China, and in all the eras of the dynasties that ruled China. The developments that occurred during the late last century of the study period also affected the field of education, making China keep pace with the development in education similar to Western education.

Keywords: Confucius, Education, China, Village schools, Exams.

المقدمة:

من البديهي انّ النظام التربوي في أي مجتمع من المجتمعات ما هو إلّا وليد أو حصيلة للعديد من العوامل, والمؤثرات, والمعطيات التاريخية, والاجتماعية, والاقتصادية, والثقافية التي تحكم ذلك المجتمع, فالتربية في مجتمع من المجتمعات تكون امتداداً طبيعياً للذاتية الثقافية لذلك المجتمع, وترجمة صادقة لهويته الحضارية[١], وعادةً ما تكون مؤثرة ومتأثرة في البيئة التي تحيط بها.

إثر ذلك, جاء هذا البحث مُسلطاً الضوء على جذور التربية والتعليم في الصين حتى عام ١٩١١م, ليوضح مخاض هذه التجربة, الصارمة في محتواها, التي دعمتْ أركان الامبراطرية الصينية لقرون عّدة, فقُسم البحث على مقدمة ومحورين, مُعززين بخاتمة تُبين من خلالها أهم الاستنتاجات التي أمكن التوصل اليها من خلال هذا البحث.

استعرض المحور الاول "**جذور التربية والتعليم في الصين منذ عام ٥٥١ ق.م حتى١٦٤٤م**", بدءاً منذُ أول مدرسة, غير تابعة للسلطة, أُنشأتْ على أرض الصين, بوصفها المحرك الأساس لمجريات الأحداث في الصين على مر العصور, ومن ثم بينّا من خلال هذا المحور ايضاً أهم أشكال التربية والتعليم التي برزتْ في عهود حكم الأسر التي توالت على حكم الصين.

في حين ركز المحور الثاني الذي جاء بعنوان "**نظام التربية والتعليم في عهد المانشو ١٦٤٤-١٩١١م**" على أهم التطورات التي حدثتْ في الصين والتي أثرت بدورها في مجال التربية والتعليم.

جاءت الخاتمة مقتضبة, تبين أهم الاستنتاجات التي تؤكد ما تم التطرق اليه في محتوى البحث, لتأكد من خلال ذلك رؤى الباحث في قراءته للأحداث بحسب المعلومات المتوافرة لديه.

أولاً: جذور التربية والتعليم في الصين منذ عام ٥٥١ ق.م حتى١٦٤٤م:

تجدر الاشارة, وقبل الخوض في غمار البحث, الى أنّ اللغة الصينية تُعد من أقدم لغات العالم, بُسِطتْ قليلاً قبل الميلاد, وبقيتْ على حالها حتى مطلع القرن العشرين من دون تغير أو تبدل يذكر, بمعنى أدق هي لغة غير حية. من جانب آخر انّ واضع الكتابة

الصينية هو الامبراطور فوهي Fouhi, سنة ٣٤٦٨ ق.م, وهو أول من ألّف في الفلسفة[٢], حيث وضع للصين كتاباً وفلسفة تدور في معناها, وبشكل رئيس, حول ثالوث مقدس يتألف من: إله مجهول غير منظور, وأرواح الآباء والحكماء والملوك, الى جانب الشمس وسياراتها- مظاهر الإله من الأرواح والكائنات الطبيعية. ويُعد فوهي حكيم الصين ومشّرعها وإمبراطورها في وقتٍ واحد, عبدهُ الصينيون وعدّوه إلهاً, وعدّوا كتابه الذي يُعد من أقدم الكتب في العالم وأندرها مقدساً[٣].

١.التربية والتعليم في الصين منذ عام ٥٥١ ق.م حتى عام ٢٢١ق.م:

شهد عام ٥٥١ ق.م ولادة أعظم رجل في تاريخ الصين, ألا وهو كونفوشيوس Confucius (٥٥١-٤٧٩) ق.م, أحد رواد الفكر الانساني في الصين القديمة, وكان الاسم الصيني لهذا المفكر هو كونغ فو- تسو Kung Fu- Tzu, حُرّف الى اللاتينية فصار كونفوشيوس. كانت تعاليمه واحدة من أهم العوامل التي أثرتْ على الحياة والفكر الصيني, وسيطرتْ على العقلية الصينية منذُ بداية اسرة هان Han[٤] (التي سيتم التطرق اليها لاحقاً) في سنة ٢٠٦ ق.م الى سقوط أسرة المانشو سنة ١٩١١م. وظلّتْ تعاليم وفلسفة كونفوشيوس جيلاً بعد آخر النصوص المقررة في مدارس الصين, وانتشرت تعاليمه على أيدي تلاميذه في جميع انحاء الصين. وتشكل فلسفة كونفوشيوس نظاماً فلسفياً من علوم المنطق, وما وراء الطبيعة والاخلاق والفلسفة, وتلاميذه ربما لا يعرفون الكثير عن المنطق, ولكن بامكانهم ان يفكروا تفكيراً دقيقاً وواضحاً[٥].

تشير بعض المصادر التاريخية الى تأسيس مدرسة في الصين, تحديداً في منتصف القرن السادس قبل الميلاد, وذلك من خلال ما ذكر في أحد المصادر بان كونفوشيوس, الذي توفي والده وهو في سن الثالثة, "**كان يعمل بعد الفراغ من المدرسة ليساعد على إعالة والدته**", ولمّا بلغ الثانية والعشرين من عمره بدأ يعمل في التعليم, متخذاً من داره مدرسة, درّس فيها التاريخ والشعر وآداب اللياقة, وكان تعليمه كتعليم سقراط شفهياً لا يلجأ فيه الى الكتابة, وتقاضى من تلاميذه أجور رمزية, من خلال ما كانوا يستطيعون أداءه من الرسوم مهما كانت قليلة[٦].

واللافت في الأمر, انه لمْ يكن في مدرسة كونفوشيوس سوى عدد قليل من طلاب العلم, وما انْ بلغ خبر علمية هذا الرجل حتى التفّ حوله الناس, وتخرّج من مدرسته نحو ثلاثة آلاف طالب, غادروا منزله ليشغلوا مناصب مهمة في أرجاء المعمورة(٧), ويذكر انّ بعض الطلبة, الذين بلغ عددهم في وقت من الأوقات سبعين طالباً, كانوا يقيمون معه في المنزل. ولمّا مات كونفوشيوس, بعد أنْ بلغ الثانية والسبعين من عمره, خلّف وراءه خمس مجلدات كتبها بيده, عُرفت بـ "**الجنحات الخمسة**" او "**كتب القانون الخمسة**"(٨). وبذلك تأتي أهمية كونفوشيوس في المجال التربوي من كونه صاحب أول مدرسة في تاريخ الصين القديم ليس لها أي نوع من الارتباط بالسلطة السياسية(٩).

أُشر على كونفوشيوس بأنه تمكن من جعل التعليم متاحاً للجميع من غير تمييز بين الطبقات, بعد أنْ كان محصوراً قبل ذلك بطبقة النبلاء, وعلّية المجتمع(١٠). وعلى هذا الأساس, الذي شيده كونفوشيوس, استمر التعليم في الصين لدهور من الزمن.

٢.نظام التربية والتعليم في عهد تشين (٢٥٥ ق.م – ٢٠٦ ق.م)(١١):

بُسطتْ اللغة المكتوبة في الصين ابان عهد حكم اسرة تشين Qin dynasty, حتى أضحتْ موحدة في سائر البلاد, وجاء ذلك مُتزامناً مع توحيد الموازين, والمقاييس, والعملة التي كانت في بادئ الأمر عبارة عن المجرفة والسكين, ثمّ أضحتْ عملة جديدة مستديرة ذات ثقب مربع من الوسط, لتكون الوسيلة الوحيدة للتبادل في أنحاء الامبراطورية(١٢).

في ظل موروث حب السلطة, والتمسك بالحكم, مورس التضييق على التعلم والمتعلمين في بداية حكم اسرة التشين, حتى ذُكر انّ أول حكام هذه الأسرة, الامبراطور تشين شي هوانغ Qin Shi Huang (٢٢١-٢١١)ق.م, كان يخشى من أنْ يؤدي التأمل والجدل الى قيام الثورات والاضطرابات ضده, وبالتالي زعزعة أو انتزاع حكمه(١٣), لذا أمر بأنْ يجري المحققون الامبراطوريون تحقيقاً شاملاً حولل ذلك بين العلماء, واعدام من يثبت بحقه ذلك, وطبقاً لما أوردته المدونات التاريخية فقد حاول العلماء وطلبتهم المميزين الافلات من العقاب بتجريم بعضهم البعض, وعوقب نحو (٤٦٠) شخصاً بدفنهم أحياء, وعلاوة على ذلك أمر الامبراطور عام ٢١٣ ق.م بحرق كافة الكتب أو المخطوطات(١٤), عدا تلك التي كانت في الإرشيفات الامبراطورية, وتلك التي تتناول "**التطور, والكهانة, والطب**"(١٥). ويذكر

انّ رغبة الامبراطور في حرق الكتب كانت تكمن في بدأ تدوين تأريخ الصين من عهده, حتى يلقب بلقب الامبراطور الأول للصين, وأنْ يتم وضع أرقاماً مسلسلة لأخلافه تنتهي بالامبراطور المتمم لعشرة الاف من نسله(١٦).

٣. نظام التربية والتعليم في عهد أسرة هان (٢٠٦ ق.م- ٢٢٠م):

على عكس ما شهده عهد اسرة تشين من حرق الكتب, وتقييد حرية النقاش, والكلام, والتعبير, فقد شهد عصر اسرة هان Han dynasty إحياء التعاليم الكونفوشيوسية, إذْ تمّ رفع الحظر على الكتابات الفلسفية والتاريخية في القرن الأول من حكم الهان, وأعيد جمع الأعمال الكلاسيكية, وقام بعض العلماء القُدامى بتصنيف النصوص التي كانوا قد حفظوها عن ظهر قلب في شبابهم, ويذكر انّ رجل طاعن في السن يبلغ من العمر تسعون عاماً استطاع تلاوة معظم كتاب الاغاني وكتاب التاريخ. كما أعيد نسخ الكتب التي كانت قد أخفيتْ خشية إحراقها بعد إخراجها من الفجوات التي وضعتْ بها في الجدران القديمة, وعادتْ للأعمال الكلاسيكية مكانتها وهيبتها, ونذر العديد من العلماء أنفسهم لمراجعة الأدب الكونفوشيوسي الكلاسيكي وشرحه, وأخرجتْ شروح الكتب القديمة, التي بعضها معروف الآن, عن طريق علماء الهان وحدهم, الذين شرحوا الأدب من خلال الفكر الذي كان سائداً في عصرهم. كما تمّ اعلان التعاليم الكونفوشيوسية مذهباً رسمياً(١٧).

اللافت انه بالرغم من عدم إبداء امبراطور الهان الأول كاو تساو Cao Cao إحتراماً كبيراً للعلماء, لكنه أقرّ بالحاجة الى المتعلمين في الحكومة, لكبح جماح الارستقراطية الاقطاعية, وأطلق نداء يطلب فيه مساعدة الموهوبين, وقد حذا حذوه خلفاؤه بما فيهم وو تي Wu Ti الذي أصدر بياناً شدد فيه على "**إنّ العمل غير العادي يتطلب رجالاً غير عاديين...**", وبذلك تحققتْ لامبراطورية الهان سلطة استبدادية أكبر عن طريق ما كان يقوم به موظفو الدولة والبيروقراطيون من كبح وتقييد متعمد للارستقراطية الاقطاعية, وكان الموظفون مُدينين بمكانتهم- بدايةً عن طريق التزكية ثم نظام الامتحان في وقت لاحق- للامبراطور بشكل مباشر وليس للجماعة التي ينتمون اليها في المجتمع(١٨).

تجدر الاشارة الى انه في عام ١٢٤ ق.م, وخلال عهد وو تي انشأتْ جامعة تاي شو Tai Xue, وتعني الاكاديمية الامبراطورية أو المدرسة الامبراطورية أو المدرسة الكبرى(١٩),

وبذلك فهي أول جامعة امبراطورية أهتمتْ بدراسة الكلاسيكيات الكونفوشيوسية أو الكتب الخمسة التي تضم كتاب التغييرات, وكتاب القصائد, وكتاب التاريخ, وكتاب الطقوس, وحوليات الربيع والخريف[٢٠], الى جانب تدريب المسؤولين, وكان التعليم للذكور فقط, وقدّر لمخرجات هذه الجامعة عمل طلابها في خدمة الحكومة, وكان خمسون من علماء هذه الجامعة يحظون بدعم الدولة, وسرعان ما تزايد عدد الطلاب, وبنهاية الاسرة الحاكمة بلغ عدد خريجي هذه الجامعة نحو ثلاثون الف طالب, وتم قبول المبدأ القائل بأنّ مديري الامبراطورية, وموظفي الدولة, يجب ألا يكونوا فُضلاء فحسب, بل متعلمين أيضاً, وقام الامبراطور بادخال نظام الامتحانات لاختبار ما يتمتع به موظفوه من دراية وإلمام تام بالاعمال الكلاسيكية الكونفوشيوسية[٢١].

على هذا الأساس, أضحتْ أجهزة الدولة على درجة كبيرة من الكفاءة والمقدرة. اذْ كانت التعيينات تتم في السابق أمّا بالوراثة أو باختيار الحكام وكبار الموظفين, لكن هذا الامبراطور وضع نظام الامتحانات الرسمية للالتحاق بالوظائف العامة, ولمْ يعد يعين أحد في مناصب الدولة إلّا اذا اجتاز امتحاناً تضعه الحكومة لهذا الغرض, وصارتْ الامتحانات يتقدم اليها من يشاء من الذكور, وبذلك توافرتْ الكفاءات, وصيغت التنظيمات السياسية والاجتماعية على أسس ثابتة, ظلّتْ قائمة دون تغيير جوهري حتى مطلع القرن العشرين[٢٢].

من جانب آخر, أسهمتْ المؤتمرات, التي كانت تعقد تحت رعاية الامبراطور, على تعزيز استقامة التعاليم الكونفوشيوسية لتحديد تفسير مقبول للأعمال الكلاسيكية, ولذا أمرتْ الحكومة بنقش النسخة المعتمدة من هذه الأعمال على ألواح حجرية كبيرة نصبتْ في العاصمة, وعظم شأن أحفاد كونفوشيوس, وأصدرتْ الأوامر بتقديم القرابين له في كافة المدارس الحكومية, ومنذ عهد الامبراطور وو تي Wu Ti[٢٣](١٤١-٨٧)ق.م احتفظتْ الفلسفة الكونفوشيوسية بمكانتها كمذهب رسمي حتى القرن العشرين, وانتشر الفكر الكونفوشيوسي في أنحاء الامبراطورية ممّا ساعد على توحيد المجتمع الصيني, وأصبح وجود طبقة من صفوة البيروقراطيين, ممّنْ تعلموا الأعمال الكلاسيكية الكونفوشيوسية, سمة سائدة للبناء الاجتماعي الصيني, وشكّل البيروقراطيون الفئة الحاكمة, المتعلمة, التي تتمتع

بالامتيازات والمقام الرفيع, وفيما عداهم كانوا المحكومين, الكادحين, الأميين, والمحرومين من الامتيازات[٢٤].

لقد كانت التطورات الثقافية في عصر الهان ذات أهمية بالغة, حيث شرع الصينيون في العصور الأولى في الكتابة بالفرشاة بدلاً من الأدوات المدببة التي كانت تستخدم في النقش على قشر الخيزران الأملس, وحلّ الحبر محل خليط غبار الآجر والماء, وفي مطلع عصر الهان بدأ الناس في استخدام الحرير والقنب لإنتاج أداة من أدوات الكتابة كالورق[٢٥], وفي وقت لاحق أصبح الورق يصنع من لحاء الاشجار والقنب والأسمال البالية وشباك الصيد القديمة, وأدى انتاج الورق من الخامات الرخيصة الى الاستغناء عن القطع الخشبية, وقطع نبات الخيزران الثقيلة المرهقة التي كانت تستخدم من قبل للتدوين في الكتب؛ كما تمّ الحد من استخدام الحرير كقاعدة للكتابة. وفي القرون التالية أدخل الورق في عدد من البلدان الاجنبية ككوريا واليابان والهند والجزيرة العربية؛ لكن المعرفة بصناعة الورق استغرق انتشارها من الصين عبر آسيا الوسطى الى اوربا اكثر من الف عام. وشجعتْ هذه التطورات بدورها على نشر الكتب[٢٦].

وفي السياق نفسه أولى عدد من حكام الهان جهود كيميائيهم لاكتشاف أكسير العمر المديد وربما الخلود اهتماماً خاصاً, ويذكر انّ الامبراطور كوانغ ووGuang Wu (٢٥-٥٧)م كان رجل دين نظامي, عاش معظم حياته كناسك[٢٧] Hermit في جبل يدرس الكيمياء[٢٨]. كما انتشر كتاب "**الامبراطور الأصفر للطب الصيني**" الذي يعد أقدم مصنّف في الطب الصيني, الذي تألف من أجزاء ضمّتْ فصول عدّة, وهو في غالبه عبارة عن سؤال وجواب بين الامبراطور الأصفر Yellow Emperor هوانغ تي Hwang Ti[٢٩] وطبيبه, وركز على العديد من الامراض وعلاجها, منها علاج الوخز بالإبر, المعروف اليوم بـ "الوخز بالإبر الصينية"[٣٠], التي تعود جذورها الى عهد سلالة شانغ الملكية Shang dynasty (١٦٠٠-١٠٤٦)ق.م, قبل نحو ثلاثة آلاف عام[٣١], الى جانب علاج "الكي بالموسكا"[٣٢], التي تطورتْ كثيراً خلال عهد الهان[٣٣].

٤. نظام التربية والتعليم في عهد تانغ (٦١٨-٩٠٧)م:

تلتْ حكم اسرة الهان قرون مثّلتْ أبرز سماتها الانقسامات, وميول الأسر المحلية ذات القوّة والنفوذ الى تزكية مريديها لشغل الوظائف, وبذلك أضحى تعيين الموظفين يجري عن طريق الحظوة أو المحاباة بصرف النظر عن الأهلية والاستحقاق. وما أنْ حلّ عهد اسرة تانغ Tang dynasty, حتى أحيا امبراطورها الأول نظام الهان (الكيجو) الخاص بالامتحانات[٣٤], الذي كان يقوم على الأعمال الكلاسيكية الكونفوشيوسية- كما أشرنا, وأخذ التانغ على عاتقهم تنظيمها والتوسع فيها, الى جانب زيادة الطاقة الاستيعابية للمدارس الامبراطورية في عاصمتهم تشانغان Chang'an[٣٥] لتتسع نحو أكثر من ثلاثة آلاف طالب للإقامة بها, وتم الحفاظ على المدارس الأقليمية ايضاً. وتضمنتْ الامتحانات الخاصة بنيل أعلى درجة علمية "**تشين- شيه**" Jin Shi أو درجة "**العالم المميز**" في مجال الأدب كاملاً, وكان المرشحون مطالبون بكتابة مقالات وقصائد طبقاً للقواعد التقليدية لاسلوب الكتابة عن المشكلات السياسية والادارية, وتجمع عدّة آلاف من الطلاب في عواصمهم الاقليمية من أجل هذه الاختبارات, وعادة ما يتم استدعاء المرشحين الناجحين الى العاصمة الإدارية من أجل اجراء سلسلة أخرى من الامتحانات التحريرية والشفهية قبل منحهم أي منصب سياسي, وكان المظهر, وكذلك القدرة الشفهية, تؤخذان في الاعتبار في هذه المرحلة, وبعد اجتيازهم كل ماسبق يجري المرشحون سلسلة أخرى من الامتحانات لترتيب المرشحين المختارين[٣٦].

بمعنى أدق, كان على المرشح خوض اختبار المقاطعة أولاً، فإذا اجتازه كان له الحق في خوض الاختبار الإقليمي الذي يُعقد كل ثلاث سنوات، فإذا اجتازه سمح له بالانتقال إلى العاصمة الإمبراطورية والمشاركة في الاختبار الذي يُعقد في العاصمة، كل ثلاث سنوات أيضاً[٣٧].

واللافت انّ النظام الصيني للخدمة المدنية القائم على الامتحانات- الذي سبق نظام التوظيف البريطاني للعاملين المدنيين عن طريق الامتحان بأكثر من ألف عام- بلغ تطوره الكامل خلال عهد التانغ, وساعد على تخريج الموظفين الاكفاء القادرين على الوفاء بمطالب امبراطورية عظيمة تخضع للحكم المركزي, حيث كان لتسجيل الضرائب, والسخرة وتنظيمها, وادارة اشغال العاصمة كصيانة المياه, وكذلك المشروعات الحكومية, تتطلب مستوى عالٍ من

الكفاءة البيروقراطية. وظل نظام الامتحان الامبراطوري قائماً– ابتداءً من عصر التانغ حتى القرن السابع عشر– كسبيل رئيس للوظيفة الرسمية, وأضحى التعليم مرتبطاً بهذه الامتحانات, ومن ثم أصبح نظاماً لاختيار وليس لتعليم النخبة الصينية الحاكمة, وكان النجاح بالنسبة للطالب أشبه بعطية إلهية(٣٨).

أصبح نظام الامتحان في عهد التانغ نموذج يحتذى به للاجيال القادمة, إذْ اهتم الامبراطور شخصياً بالامتحانات لاختيار أفضل المرشحين في نهاية الأمر, وكانت الامتحانات بوجه عام متاحة للجميع, عدا التجار– حيثُ نظر العلماء والمسؤولون الحكوميون إلى طبقة التجار على أنها وضيعة ومحتقرة– والجماعات "**الحقيرة**" أو المنبوذة التي ضمّتْ الممثلين المسرحيين, والشحاذين, والعبيد, و"العاهرات", وعمال المراكب في الساحل الجنوبي, وغيرهم ممّنْ لمْ تكن لهم أية حقوق اجتماعية, وعدا هؤلاء فكل من لديه القدرة على تحمل نفقات التعليم يُعد مؤهلاً لدخول هذه الامتحانات. وقد أدى العمل الحكومي الى نشأة امتياز دائم, حيث أصبح النفوذ والثراء اللذين تحققا ميزة وراثية لأبناء النخبة في ظل احتكارهم للتعليم عن طريق الثراء. وبذلك بدء ينظر الى التعليم على انه شرط أساس للعمل الحكومي في المقام الاول(٣٩).

انّ مسألة احتقار التجار جاء بسبب الثقافة الكونفوشيوسية التي تشدد على أنّ العمل في الديوان الحكومي، في نظر أتباع الكونفوشيوسية، أعلى مهنة في المجتمع وأهمها على الإطلاق. وانعكس هذا الاعتقاد في تصنيفهم الهرمي للوظائف الذي, وإنْ لمْ يُشرع بصورة رسمية, كان له تأثير كبير على مدار التاريخ الصيني. في هذا التصنيف احتل العالم– الموظف الكونفوشيوسي, قمة الهرم؛ وأتى بعده المزارع الذي كانت تثمر جهوده تزويد العامة بالطعام؛ ثم الحرفي الذي وفّر المنتجات والأدوات للأنشطة اليومية؛ وقبع في القاعدة التاجر. وضع التاجر في أسفل الهرم، في إشارة إلى نظر الكونفوشيوسية للتجار على أنهم متطفلون غير منتجون، لا يصنعون ولا يفعلون شيئاً إلا المتاجرة في سلع "الطبقتين" الأكثر إنتاجية، وهما المزارعون والحرفيون. واستمر هذا الانتقاص من شأن التجار عبر معظم التاريخ الصيني الإمبراطوري، ومع ازدياد هيمنة القيم الكونفوشيوسية على المجتمع, لوحظ أيضاً عدم وجود العسكريين في التصنيف الهرمي، ما يشار إلى التمييز المستقبلي للثقافة للخدمة

المدنية على الخدمة العسكرية، ويُلمح ذلك إلى النظرة الدونية بشكل عام إلى العسكريين وأنشطتهم التي ستسود في أواخر الحقبة الإمبراطورية. ربما كان يجني التجار، الأقل شأناً في المجتمع، ثروة كبيرة، ويعيشون في رفاهية وراحة، في حين يكافح القرويون أغلب الوقت للبقاء على قيد الحياة, وكان من الممكن أنْ تتخطى بسهولة ثروات التجار ثروات أبرز المسئولين, ولكن ما كانت لتمنح هذه الثروة التجار تلك المكانة الاجتماعية والوجاهة المرتبطة بموظفي الدولة، ولعل هذا يفسر إصرار التجار الناجحين في الغالب على دراسة أبنائهم لاجتياز اختبارات الخدمة المدنية بدلاً من العمل معهم في مجال التجارة, بحسب الاعتقاد السائد في انّ موظفي الدولة ينالون التعيين في الخدمة المدنية بمهارتهم الاستثنائية وأخلاقهم الحميدة، بل بلغت مهارتهم وأخلاقهم الغاية التي لا غاية وراءها، حتى إنها جذبت انتباه الإمبراطور نفسه. وبعد شغلهم لوظائفهم، كانوا يقفون إلى جانب الإمبراطور، يقدمون له الدعم والنصح حول كيفية تحقيق السلام والانسجام في الإمبراطورية, فقد كانوا بمنزلة نخبة المجتمع، أو نجوم السماء، كما يقول القول الدارج(٤٠).

ومن الناحية الثقافية, كان لاهتمام أسرة التانغ في نظام التعليم وتطوير مؤسساته ونظمه داخل امبراطوريتهم تأثيره المباشر على اليابان, إذْ تشير الوثائق الى انّ قرابة ثلاثة عشر بعثة يابانية وفدتْ الى الصين في عهد اسرة التانغ, كل منها تضم مابين (٥٠٠) الى (٦٠٠) شخص, ومن بينهم طلاب تتلمذوا أساساً في الصين, فأصبح المعلمون اليابانيون بعد عودتهم الى بلادهم ينشرون الثقافة الصينية, لتصلح اليابان نظام ادارتها على غرار أسرة التانغ(٤١), فاليابانيون ولقرون عدّة يعدون الثقافة الصينية هي العامل الأهم في هويتهم القومية(٤٢).

٥. نظام التربية والتعليم في عهد مينغ (١٣٦٨-١٦٤٤)م:

وفي عهد حكم اسرة مينغ Meng Dynasty, شكّل الامبراطور هونغ وو Hongwu (١٣٦٨-١٣٩٨)م حكومته على غرار نظام التانغ, حيث أعاد العمل بالمبادئ والتعاليم الكونفوشيوسية, وتم احياء نظام الامتحان حتى أضحى أكثر رسوخاً من سابقه(٤٣), وقد وصف أحد المبشرين ذلك بقوله:"**هناك قصر ضخم شُيد خصيصاً لهذا الامتحان في كل مدينة من مدن العاصمة, يحيط به سور عظيم, ويوجد به عدد من الأجنحة والحجرات**

الصغيرة المعزولة عن كل ما يشغل أو يلهي, خُصِصَتْ للمُمتحنين عند مناقشتهم للمخطوطات المقدمة, ويوجد في وسط هذا القصر أكثر من أربعة آلاف حجرة صغيرة, تتسع الواحدة منها لاحتواء منضدة صغيرة ومقعد لشخص واحد, وقد تم بناء هذه الحجرات بحيث لا يستطيع من يشغلها التحدث الى من يشغل الحجيرة المجاورة أو حتى رؤيته"[٤٤].

وفي الوقت الذي كان يجري فيه مراجعة المخطوطات, ليلاً ونهاراً, كان هناك حرس من القضاة والخفراء العسكريين يجولون في حركة دائبة لمنع أي اتصال شفهي أو كتابي بين أولئك المنشغلين داخل القصر وأولئك الذين خارجه, وتم تخصيص نفس الأيام الثلاثة للامتحان في كافة أنحاء الامبراطورية, ويسمح للمشاركين في الامتحانات بالكتابة من الفجر الى الغروب خلف أبواب مغلقة, تقدم لهم الوجبات الخفيفة التي أعدّتْ في اليوم السابق على نفقة الدولة, وعندما يؤذن للمرشحين بدخول القصر يجري تفتيشهم بعناية للتأكد من عدم وجود أية كتب أو مواد مكتوبة بحوزتهم, وعند دخولهم للامتحان يسمح لهم بحمل عدّة الفرش للكتابة, ولوحة ألوان, وكذلك حبر وورق, ويتم تفتيش ملابسهم, والفرش, ولوحات الألوان بعناية خشية انْ تحوي على أشياء مشبوهة, واذا اكتشف أي نوع من الغش فلا يقتصر الأمر على الاستبعاد من الامتحان فحسب, بل يرافق ذلك عقوبة شديدة أيضاً[٤٥].

ثانياً: نظام التربية والتعليم في عهد المانشو (١٦٤٤-١٩١١)م[٤٦]:

قبل هذا العهد كان التعليم في الصين يتم في مدارس القرى Village Schools[٤٧], حيث يقوم معلم واحد بتعليم أبناء ميسوري الحال في القرية, أمّا فقراؤها فقد ظلوا أميين, واقتصرتْ المادة التعليمية على كتابات كونفوشيوس وشعر تانغ, وطريقة التعليم هي الحفظ عن ظهر قلب, واتسم التعليم في هذه المدارس المتواضعة بالصرامة, يقضي الطلاب النهار كله تقريباً في تلك المدارس, وظلّ التعليم في الصين مستقلاً عن الدولة, إذْ لم يكن أي دور للدولة في الانفاق عليه[٤٨]. أمّا البنات, فكان التعليم منتشراً فقط بين نساء الطبقات العليا من المجتمع الصيني[٤٩].

وكان في وسع هؤلاء الطلاب, بعد اتمامهم مسيرة تعليمهم في تلك المدارس, الالتحاق في كليات الدولة قليلة العدد, الفقيرة في أدواتها واستعداداتها, ولكنهم كانوا في أكثر الأحيان (الميسورون منهم) يواصلون تعليمهم في منازلهم على أيدي المدرسين الخصوصيين, أو

يشتروا كتباً ثمينة ويواصلوا دراستهم بأنفسهم. وكان الميسورون عادةً ما يعينون الفقراء من الطلاب في اتمام دراستهم على أنْ يكون ذلك ديناً عليهم يتفق عليه أنْ يردوه مع فوائده حينما يعينون في منصب من المناصب(٥٠).

واستمراراً لما تمّ التطرق اليه سابقاً, استمر النظام التعليمي في هذه المرحلة بتأهيل المتعلمين لتولي المناصب العامة من خلال الامتحانات, حيث يمتحن المتقدم للمنصب في قوّة تذكره, وفهمه, ومقدار ما يعرف من الشعر, ومن ينجح في هذا الامتحان يتقدم للامتحان النهائي الذي يعقد في بكين, حيث كانت ردهة الامتحان في تلك المدينة تحتوي على عشرة الاف حجيرة انفرادية(٥١), يقضي المتسابقون فيها ثلاثة أيام في عزلة تامة ومعهم طعامهم وفراشهم, يكتبون مقالات أو رسائل في موضوعات تعلن لهم بعد دخولهم الى الحجيرة الانفرادية(٥٢).

قد يلجأ الممتحنون إلى إحدى وسائل الغش الشائعة، والتي من بينها ارتداء لباس تحتي مع كتابة نصوص الكلاسيكيات أو مقالات الاختبارات النموذجية عليه(٥٣), أو لف أوراق الغش في الأطعمة أو دسها بين أغطية السرير؛ أو "تأجير محتال"، وهو كاتب مقالات بارع لإنتحال شخصية الممتحن والجلوس مكانه في الحجيرة المخصصة له؛ وشراء سؤال الاختبار مقدماً من الموظف المسؤول عن الاختبار, ورشوة المراقب وجعل شخص داخل أو خارج المجمع يكتب إجابة السؤال فور الإعلان عنه، ثم تمريرها له في حجيرته. مقابل ذلك, ظلتْ الدولة تتخذ الإجراءات اللازمة للحد من تلك الانتهاكات وغيرها ممّا ابتكره الممتحنون للتحايل على النظام, ومع ذلك لمْ تنته حيل الممتحنين، وبالنظر إلى المكافآت التي تأتي مع النجاح بصفة أكيدة، كان إغراء الغش لزيادة فرص النجاح أقوى وأشد. واستمر هذا النوع من الفساد في تاريخ نظام الامتحان(٥٤).

لقد شددّ الصينيون على أهمية القراءة, والكتابة, ومطالعة الكتب, وجعلوا سلطة الحكام وكبار الموظفين نابعة عن اتساع علمهم, وأصبحتْ هذه الأفكار ضرورية لاختيار رجال الدولة في الصين, بل انّه مع تقادم الزمن نجد أنّ اليابانيين والكوريين قد أخذوا عن الصين هذا النظام التعليمي الصارم(٥٥).

استمر نظام التعليم في الصين قائماً على ما توارث من الأسلاف حتى اندلاع ثورة التايبنغ Taiping Rebellion(١٨٥٠-١٨٦٤)م[٥٦], إذْ أتاح قائدها هونغ هسيو تشوان (١٨١٤-١٨٦٤)م, ولأول مرّة, الفرصة لدخول امتحانات الخدمة المدنية أمام الرجال والنساء على حدٍ سواء, ولجميع طبقات المجتمع دون استثناء, كما شجع الفن وأنشأ مجالس للإشراف على انتاج أعمال الزخرفة, والنسيج, والنحت[٥٧].

وبعد مضي نحو اثنان وعشرون عاماً على حرب الافيون الأولى (١٨٣٩-١٨٤٢)م, تحديداً في عام ١٨٦٢م, شهدتْ الصين افتتاح أول مدرسة لتعليم العلوم الغربية, وأُشر حينها انّ عدد الصينيين الذين يعرفون قراءة الكتب الغربية في تلك الآونة نحوَ أحد عشر شخصاً فقط[٥٨], وفي عام ١٨٦٨م وقعتْ الصين في واشنطن معاهدة بورلينغام Burlingame Treaty مع الولايات المتحدة الامريكية, والتي تُعد بدايات التقارب الصيني- الامريكي, وشدد أحد بنودها على حرية الالتحاق بمدارس البلدين[٥٩], وبذلك أرسلتْ الصين في عام ١٨٧٢م أول بعثة دراسية للخارج, ضمّتْ نحو (٢١٠) صبياً, وفي أواخر ثمانينات القرن التاسع عشر ظهرتْ مجموعة من المثقفين الصينيين ممّنْ توافرتْ لديهم دراية جيدة بالمعارف الغربية[٦٠].

وإزاء الهزيمة التي لحقتْ بالصين أمام اليابان عام ١٨٩٥م, ابان الحرب الصينية-اليابانية الأولى (١٨٩٤-١٨٩٥)م, وتوقيع معاهدة شيمونسكي[٦١], برزتْ جماعات وطنية تدعو للأخذ بالتعليم الغربي, ووجوب أنْ تحذو الصين حذوَ اليابان, وذلك بإنشاء جيش قوي, وبناء المصانع, وشق الطرق, حتى تتمكن الصين من أنْ تتحدي الأخطار الخارجية[٦٢], لكن الامبراطورة تزو هسي Tz'u-hsi, المعروفة بالإمبراطورة الأم تسيشي Cixi (١٨٣٥-١٩٠٨)م [٦٣] رفضتْ مطالب هذا التيار الاصلاحي وقاومته بكل قواها, ولمّا بلغ الامبراطور جوانغ شو Guangxu (١٨٧١-١٩٠٨)م سن الرشد, انضم الى ذلك التيار الاصلاحي معارضاً سياسة الامبراطورة الأم؛ إثر ذلك, أصدر الإمبراطور الشاب مجموعة من المراسيم طالب فيها الشعب الصيني السير على خطى الغرب, والأخذ بأساليبه, مشدداً على ضرورة إقامة نظام جديد للتعليم, من خلال إنشاء مدارس تدرس العلوم والآداب على الطريقة الغربية, تكون مختلفة كثيراً عن كتب وتعاليم كونفوشيوس, كما بادر الى شق الطرق الجديدة

والتشجيع على اصلاح الجيش, وهدف بذلك الى جعل الصين دولة قوية تستطيع مواجهة أعدائها(٦٤).

هذه السياسة التي رسمها الامبراطور الشاب كانت معارضة تماماً لسياسة الامبراطورة الأم, إذْ هالها أنْ يخطو الامبراطور هذه الخطوة في اصداره لتلك المراسيم المتطرفة, التي من شأنها أنْ تؤدي بالأسرة الحاكمة الى الهلاك, لذلك بادرتْ بإيعاز إلقاء القبض على الامبراطور جوانغ شو, وسجنه في أحد قصور الامبراطورية, لتحكم قبضتها على زمام الحكم في الصين, وبذلك أصبح الرجعيون أو دعاة الحفاظ على الأنظمة القديمة هم أصحاب السلطة التامة(٦٥).

وفي أعقاب ثورة البوكسرز Boxer Rebellion (٦٦) عام ١٩٠٠م, دأبتْ جميع الأقاليم في ارسال الطلبة الى اليابان لتلقي العلوم الحديثة في مدارسها(٦٧), كما فرضتْ القوى الاجنبية المتحالفة على الصين في عام ١٩٠١م غرامة حربية مقدارها (٣٣٠) مليون دولار, إلّا انّ جزءاً كبيراً من هذه الغرامة رفعتْ عن الصين فيما بعد من لدن كل من الولايات المتحدة الامريكية, وبريطانيا, وروسيا, واليابان مقابل أنْ تنفق الأخيرة الأموال التي نُزّلتْ عن ذمتها على تعليم الطلبة الصينيين في جامعات الدول التي كانت هذه الأموال من حقها(٦٨), وعُرف طلاب هذه المبادرة باسم "**طلاب الغرامات**"(٦٩). واشترط في ايفاد هؤلاء الطلبة أنْ يكونوا من صغار السن ممّنْ يسهل التأثير عليهم وتوجيههم الوجهة التي يريدونها(٧٠), وترتب على ذلك (مثلاً) انّ مئات الشبان الصينيين ممّن درسوا وتخرجوا من الجامعات الأمريكية ربطوا البلدين بروابط صداقة متينة(٧١).

من جانب آخر, وبموجب بروتوكول ١٩٠١م الذي وقعه بلاط المانشو مع القوى الأجنبية, تم تعليق امتحانات الخدمة المدنية لمدّة خمس سنوات في جميع الأقاليم والمدن التي قتل فيها رعايا أجانب أو عوملوا بقسوة, الى جانب انشاء وزارة للمعارف(٧٢). وفي عام ١٩٠٤م صدر برنامج تعليمي شامل في كافة المقاطعات على النسق الأوروبي ابتداءً من رياض الأطفال وصولاً للكليات والجامعات, وهدف البرنامج التعليمي رفع نسبة المتعلمين الى ٥% مع حلول عام ١٩١٧م(٧٣).

ولتسليط الضوء أكثر, أصدرتْ حكومة المانشو, خلال المدة (١٩٠١-١٩٠٦)م, عدّة مراسيم لإعادة تنظيم التعليم طبقاً للنموذج الياباني[٧٤], فشرعتْ في أول الأمر بفتح المدارس الحديثة التي تُدرس فيها المناهج العلمية الحديثة الى جانب الموضوعات التقليدية في أنحاء البلاد كلها. وضمن ذلك السياق جرى تحويل الأكاديميات الموجودة في عواصم الأقاليم الى جامعات حديثة، وتلك التي في عواصم المقاطعات الى كليات حديثة، أمّا الموجودة منها في المدن والنواحي فحولتْ الى مدارس ثانوية وابتدائية على التوالي[٧٥], وأجريتْ التحسينات على جامعة بكين[٧٦]. وفي عام ١٩٠٤م وضِعتْ خطة شاملة لفتح المدارس الابتدائية, والثانوية, والمهنية, والحرفية في المدن والأقضية والنواحي كافة, ومع ذلك بقي التعليم يعاني من عدّة صعوبات ومعوقات, مثل توفير الموارد المالية اللازمة، ونقص كبير في الكتب المنهجية, والاساتذة, والمدرسين، وصعوبة ربط التعليم الحديث بمتطلبات الخدمة المدنية, ولتلافي تلك المعوقات طالبتْ الحكومة حكام الأقاليم بالاعتماد على مصادر التمويل الذاتي, وعمدتْ الى إنشاء معاهد إعداد المعلمين, وتنظيم الدورات التدريبية السريعة لمدة ستة أشهر شملتْ مدراء المدارس والمدرسين على حدٍ سواء، وجرى فصل التعليم الحديث عن التعليم التقليدي، ومنح الطلاب الذين نجحوا في مدارس التعليم الحديث الألقاب (الشهادات) والوظائف الرسمية نفسها التي كان يحصل عليها أولئك الذين يجتازون امتحانات الخدمة العامة[٧٧].

أصبحتْ مسألة ابتعاث البعثات العلمية الى الخارج أمر شائع في الصين, ومع قيام الاقاليم بارسال ابنائهم الى اليابان- كما أشرنا, وتوجه الحكومة بعد عام ١٩٠١م لإرسال البعثات العلمية الى الخارج، حظيتْ اليابان[٧٨] بالقسم الأكبر منها, نظراً لقربها من الصين, ولتشابه العادات, والتقاليد, وسهولة تعلم لغتها, ولضعف التمييز العنصري فيها، الذي طالما عانى منه الطلبة الصينيون في الدول الغربية. وبحلول عام ١٩٠٦م وصل عدد الطلبة فيها، ممّنْ درسوا على النفقة العامة والخاصة, نحو ثمانية آلاف طالب, وتضاعف العدد في السنوات التالية. أمّا في الولايات المتحدة فقد وصل عدد الطلاب فيها عام ١٩١١م الى (٨٠٠) طالب, وبعدها تأتي الدول, لاسيما بريطانيا والمانيا التي بلغ عدد الطلاب فيهما نحو (٤٠٠) طالب، وشهدتْ السنوات التالية تزايداً في أعداد الطلاب فيها، سيما بعد أنْ ألغت

روسيا واليابان في عام ١٩٠٨م, بعد الولايات المتحدة الامريكية, جزءاً من الغرامات العائدة اليها بموجب بروتوكول البوكسرز، وأشترطتْ على الصين أيضاً أنْ تنفق الأموال التي تنازلتْ عنها على تعليم الطلبة في جامعات تلك الدول, كما أشرنا سابقاً(٧٩).

ومن ضمن سلسلة من المراسيم, آنفة الذكر, صدر عام ١٩٠٥م مرسوم يهدف الى اعادة التنظيم العسكري, والتعليمي للامبراطورية الصينية, وفيما يخص التعليم تم اسقاط نظام الامتحان لاختيار الموظفين الحكوميين, الذي خدم الامبراطورية على مدى أكثر من ثلاثة عشر قرناً, كونه لمْ يعد ينسجم مع روح العصر, ووُضِعَتْ خطة لادخال التعليم العام حيث تقرر اضافة مقدار ضئيل من المعرفة الحديثة الى جانب طبع القيم القديمة في الاذهان(٨٠).

الخاتمة:

- بالامكان تتبع جذور التربية والتعليم في الصين منذ منتصف القرن الخامس ق.م, تحديداً منذ أنْ شهدتْ الصين ولادة كونفوشيوس, الذي يعد أبرز وأعظم مفكري الصين, اذْ افتتح أول مدرسة غير تابعة للسلطة, وهذا بدوره يعطي انطباعاً على انّ التربية والتعليم في الصين كانتا أقدم بكثير من هذا التاريخ الذي ابتدأ به البحث, بدليل انّ كونفوشيوس نفسه تلقى التعليم في صباه على أيدي مدرسين متعلمين. وتخرّج على يد كونفوشيوس مئات الطلبة الذين كان للعديد منهم الدور البارز في شغل مناصب عالية في الدولة, وآخرين منهم نقلوا أفكار كونفوشيوس جيلاً بعد جيل.
- نجح أباطرة الهان في بناء صرح الحضارة الصينية, الذي استمر راسخاً حتى نهاية المدة الزمنية المحددة للبحث, على الرغم من المحاولات المتكررة التي كانت ترمي الى تقويضه.
- كان النظام الامبراطوري حريصاً على الامتحانات بدليل انه خصص موظفين رفيعين المستوى بصفة مراقبين مهمتهم تأمين عدم اجراء أي اتصال شفهي أو كتابي بين الذين يؤدون الامتحانات داخل الحجيرات وبين من هم خارجها, كما جرت العادة في تخصيص نفس الأيام الثلاثة للامتحان في كافة أنحاء الامبراطورية, وهذا بدوره يعطينا انطباعاً بأنّ الأسئلة كانت موحدة, ممّا يؤكد أهمية هذه الامتحانات بالنسبة للنظام الامبراطوري.

- يعود الفضل الى الصين في انتاج الورق, الذي يعود اليه الفضل ايضاً في تطور التعليم في أنحاء العالم, فمن الصين انتقلت صناعة الورق الى العالم بأسره.
- تغلغلتْ الثقافة الصينية في اليابان التي أرسلتْ بدورها العديد من أبنائها للدراسة في الصين ولنقل التجربة الصينية اليها.
- كانت امتحانات الخدمة المدنية حكراً على الذكور فقط, وفئات محددة من المجتمع الصيني, لكن لثورة التايبنغ كلمة أخرى, إذْ أتاحتْ الفرصة, ولأول مرّة, دخول امتحانات الخدمة المدنية أمام الرجال والنساء على حدٍ سواء, ولجميع طبقات المجتمع دون استثناء.
- مع ذلك, وصل تدهور التعليم بالصين الى حد انه بدلاً من أنْ تحتذي الدول بنظام تعليمها, كما كان مع اليابان, أصبحتْ هي التي تسعى للاحتذاء بأنظمة التعليم في الدول الأخرى, إذ ظهرتْ الدعوات بشأن ذلك في أعقاب الحرب الصينية- اليابانية الاولى (١٨٩٤-١٨٩٥)م.
- كان لطلاب الغرامات الذين درسوا في جامعات الدول الأجنبية الفضل في زيادة الوعي في الصين بعدما عادوا اليها محملين بأفكار وتجارب تلك الدول.

الملاحق:

ملحق رقم (١)[٨١]

ملحق رقم (٢)[٨٢]

حجرات الإمتحان للمرشحين فى الإمتحانات الإمبراطورية ، صورة من أواخر القرن التاسع عشر .

ملحق رقم (٣)[٨٣]

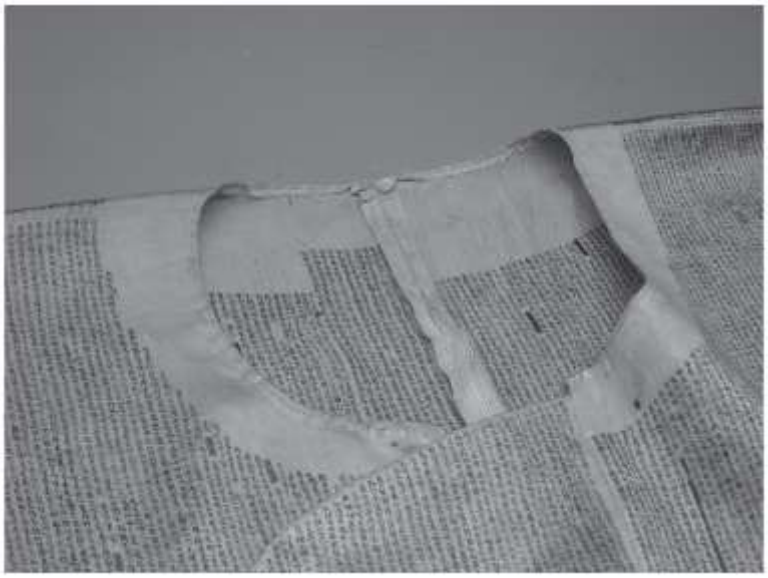

الهوامش:

(١) تطور التربية في الصين ١٩٨٤-١٩٨٦, ترجمة: مكتب التربية العربي لدول الخليج, الرياض, ١٩٨٧, ص ٩-١٠.

(٢) أتربي ابو العز وعبد العزيز حمد, نبذة عن الصين, مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة, القاهرة, ٢٠١٥, ص ٣٢و٣٧.

(٣) محمود ابو الفيض المنوفي, الدين والفلسفة والعلم: تطور الديانات منذُ أقدم عصورها الى الآن مع الشرح والتحقيق, ط٢, مؤسسة وكالة الصحافة العربية, القاهرة, ٢٠٢٠, ص ١١١.

(٤) تنقسم اسرة هان (٢٠٦ ق.م- ٢٢٠م) الى: اسرة الهان الغربية (٢٠٦ ق.م- ٢٤م), والهان الشرقية (٢٥ - ٢٢٠) م. ينظر: نوري عبد الحميد العاني, المصدر السابق, ص ١١-١٢؛ خه جاو وو وآخرون, تاريخ تطور الفكر الصيني, ترجمة: عبد العزيز حمدي عبد العزيز, القاهرة, ٢٠٠٤, ص٢٠١.

(٥) ميلاد المقرحي, تاريخ آسيا الحديث والمعاصر: الصين اليابان كوريا, ط١, بنغازي, ١٩٩٧, ص٢٣.

(٦) ول وايرل ديورانت, قصة الحضارة: الشرق الاقصى (الصين), مجلد (١), ترجمة: محمد بدران, بيروت- تونس, د.ت, ج٤, ص٤١.

(٧) المصدر نفسه, ص ٤٢؛ نوري عبد الحميد العاني, تاريخ الصين الحديث ١٥١٦-١٩١١, بغداد, ٢٠٠٣, ص ٢٩.

(٨) ول وايرل ديورانت, المصدر السابق, ص٤٢و٤٨-٤٩.

(٩) هالة ابو الفتوح احمد, فلسفة الاخلاق والسياسة: المدينة الفاضلة عند كونفوشيوس, القاهرة, ٢٠٠٠, ص١٠٥.

(١٠) افتخار عبد الحكيم رجب العكيدي واسماء مجيد محمود فرج الفهداوي, الاديان والمعتقدات في الصين, مجلة الدراسات التاريخية والحضارية, مج (١٣)، حزيران ٢٠١٢, ص ١٥٨.

(١١)حاربت اسرة تشين, في منتصف وأواخر القرن الثالث قبل الميلاد, الأقوام غير الصينية, وتمكنت من توحيد الصين لأول مرة في تاريخها في امبراطورية موحدة, وقد جاء تسمية الصين (الاسم المعروف اليوم) نسبة الى هذه الاسرة, اذ دُعيت تلك البلاد في بادئ الامر بـ "أرض شعب تشين" والتي تحورت فيما بعد الى الصين (China). ينظر: نوري عبد الحميد العاني, المصدر السابق, ص١٠.

(١٢) هيلدا هوخام, تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين, ترجمة: اشرف محمد كيلاني, القاهرة, ٢٠٠٢, ص٦١.

(١٣) المصدر نفسه, ص٦٣؛ نوري عبد الحميد العاني, المصدر السابق, ص١١.

(١٤) يذكر بأنّ ما حُرق تجاوز من الكتب أو المخطوطات المئة ألف. ينظر: شريف سامي, مختصر حضارات العالم, دار دون للنشر والتوزيع, عمان, ٢٠٢٠, ص٣٩.

(١٥) هيلدا هوخام, المصدر السابق, ص٦٣. وهذا لربما يفسر لنا مدى اتساع التعليم والمتعلمين في الصين في تلك الحقبة.

(١٦) نوري عبد الحميد العاني, المصدر السابق, ص١١.

(١٧) هيلدا هوخام, المصدر السابق, ص٧٧.

(١٨) المصدر نفسه, ص ٧٨-٧٩.

(19) Michael Sullivan, The Birth of Landscape Painting in China University of California Press, 1962, p.26.

(٢٠) دانيال كيه جاردنز, الكونفوشيوسية: مقدمة قصيرة جداً, ترجمة: اسماء الطيفي, مؤسسة هنداوي, القاهرة, ٢٠٢٤, ص١٧.

(21) Michael Sullivan,, Op. Cit, pp. 26-27;

- هيلدا هوخام, المصدر السابق, ص٧٩؛ دانيال كيه جاردنز, المصدر السابق, ص١٧-١٨.

(٢٢) نوري عبد الحميد العاني, المصدر السابق, ص١٢.

(٢٣) اسمه الحقيقي ليو تشي Liu Tshi, حكم الصين نحو (٥٤) عاماً, وهي أطول فترة حكم لامبراطور في الصين, ولمْ يُكسر هذا الرقم القياسي إلا في عام ١٨٠٠م, تحديداً في حكم الامبراطور كانغ شي Kang Xi (١٦٦١-١٧٢٢)م, الذي بلغتْ مدة حكمة نحو (٦١) عاماً. ينظر:

- Elizabeth Pollard, Worlds Together Worlds Apart, Norton & Company Inc., New York, 2015, p. 238.

(٢٤) هيلدا هوخام, المصدر السابق, ص٨٠.

(٢٥) الصينيون اول من اخترع الورق من الحرير. ينظر: أترابي ابو العز وعبد العزيز حمد, المصدر السابق, ص ٣٢.

(٢٦) هيلدا هوخام, المصدر السابق, ص٨٠؛ فوزي درويش, الشرق الاقصى: الصين واليابان ١٨٥٣-١٩٧٢, ط٣, طنطا, ١٩٩٧, ص١٧.

(٢٧) الناسك أو الزاهد أو الراهب هو الشخص الذي يعتزل حياة الرفاهية والترف ويعيش بزهد وتقشف ويكرس وقته للتأمل والعبادة. ينظر: منير البعلبكي, المورد الحديث: قاموس انكليزي- عربي, دار العلم للملايين, بيروت, ٢٠٠٨, ص٤٠٣.

(٢٨) هيلدا هوخام, المصدر السابق, ص١٢٠؛ للمزيد ينظر: افتخار عبد الحكيم رجب العكيدي واسماء مجيد محمود فرج الفهداوي, المصدر السابق.

(٢٩) ولد حوالي سنة ٢٧٠٤ أو ٢٧١١ق.م, وتوج امبراطوراً سنة ٢٦٩٧ق.م حتى وفاته سنة ٢٥٩٧ ق.م وحكم نحو مئة عام. سُمي بالأصفر لأن اللون الأصفر يشير للحكمة والسيادة. ينظر:

Teresa Ying Mulan, Confessions of a Chinese Heroine, Lehigh University Press, University Press Copublishing Division, 2021, p.150.

(٣٠) المعجم الثقافي الصيني, ترجمة: امير عبد الرحمن الهلف وآخرون, العربي للنشر والتوزيع, القاهرة, ٢٠٢٣, ص٥٩٣-٥٩٤.

(٣١) وضاح طاووش, علاج الآلام والأمراض باستخدام الابر الصينية, دار الكتب العلمية, بيروت, ١٩٧١, ص١١٣.

(٣٢) علاج يتم عن طريق حرق عشبة الموكسا المجففة Mugwort قرب الجلد.

(٣٣) مايكل ديلون, مختصر تاريخ الصين, ترجمة: نانسي محمد, العربي للنشر والتوزيع, القاهرة, ٢٠١٨, ص١٤٩.

(٣٤) نوري عبد الحميد العاني, المصدر السابق, ص١٥.

(٣٥) تقع غرب الصين, وتعني السلام الدائم, وتعرف اليوم باسم شيان, وكانت العاصمة في عهد اسرتي هان وتانغ. ينظر: المعجم الثقافي الصيني الموسوعي, المصدر السابق, ص ٤٦٧.

(٣٦) هيلدا هوخام, المصدر السابق, ص١٣٩-١٤٠.

(٣٧) دانيال كيه جاردنز, المصدر السابق, ص٩٧.

(٣٨) هيلدا هوخام, المصدر السابق, ص١٤٠.

(٣٩) المصدر نفسه, ص١٤٢.

(٤٠) دانيال كيه جاردنز, المصدر السابق, ص٩٢-٩٣.

(٤١) سلسلة كتب سور الصين العظيم: تاريخ الصين, ج١, مجلة "بناء الصين", بكين, ١٩٨٦, ص٨٥.

(٤٢) غانم علوان جواد الجميلي, جذور نهضة اليابان, العبيكان للنشر, الرياض, ٢٠١٤, ص٢٣٠.

(٤٣) نوري عبد الحميد العاني, المصدر السابق, ص١٩.

(٤٤) نقلاً عن: هيلدا هوخام, المصدر السابق, ص٢٥١.

(٤٥) المصدر نفسه, ص٢٥١-٢٥٢.

(٤٦) تنتسب اسرة المانشو لقبائل مغولية استوطنت في منشوريا شمال الصين, واستفادت من الانقسامات الداخلية للصين في أواخر حكم اسرة المينج (١٣٦٨-١٦٤٤)م, وبالتعاون مع بعض المتمردين تمكنت من إقرار حكمها في المناطق الشمالية, أما الجنوبية فكانت موطناً للمعارضة التي طالما عدت المانشو اسرة اجنبية. ينظر:

- Micheal Dillon, Dictionary of Chines history, Fran: Cass and Company limited, great Bretain, 1979, p.31.

(٤٧) مدارس القرى: وهي معاهد خاصة لا تزيد الواحدة منها عن حجرة واحدة في كوخ صغير. ينظر: محمد علي القوزي و حسان حلاق, المصدر السابق, ص١٣٢.

(٤٨) ول وايرل ديورانت, المصدر السابق, ص٢٨٣؛ محمد علي القوزي وحسان حلاق, المصدر السابق, ص٨٣-٨٤.

(٤٩) ول وايرل ديورانت, المصدر السابق, ص٢٦٧.

(٥٠) المصدر نفسه, ص٢٨٤.

(٥١) ينظر الملحق رقم (١) و (٢).

(٥٢) محمد علي القوزي وحسان حلاق, المصدر السابق, ص٨٤.

(٥٣) ينظر الملحق رقم (٣).

(٥٤) دانيال كيه جاردنز, المصدر السابق, ص٩٧.

(٥٥) محمد علي القوزي وحسان حلاق, المصدر السابق, ص٨٤.

(٥٦) ثورة التايبنغ: أعظم حركة فلاحية عرفتها الصين في منصف القرن التاسع عشر, اقتبستْ أسمها من حركة قديمة بنفس الاسم, اندلعتْ ضد اسرة الهان عام ١٨٤ ق.م, وهي السلام السماوي العظيم. قائد ثورة التايبنغ هونغ هسيو تشوان الذي ينتمي الى اسرة ريفية فقيرة تسكن في احدى قرى كانتون, وقد

فشل عدة مرات في اداء امتحانات الخدمة المدنية. للمزيد ينظر: نوري عبد الحميد العاني, المصدر السابق, ص٩٢-١٠٠.

(٥٧) هيلدا هوخام, المصدر السابق, ص٢٩٢.

(٥٨) محمد علي القوزي وحسان حلاق, المصدر السابق, ص٨٣.

(٥٩) فوزي درويش, المصدر السابق, ص٦٢.

(٦٠) محمد علي القوزي وحسان حلاق, المصدر السابق, ص٨٣.

(٦١) نوري عبد الحميد العاني, المصدر السابق, ص١٣٤.

(٦٢) محمد علي القوزي وحسان حلاق, المصدر السابق, ص٩٥.

(٦٣) تزو هسي: المعروفة باسم "بوذا العجوز" و"الامبراطورة الأرملة" و"الامبراطورة وو", ولدت عام ١٨٣٥, وتنتسب الى احدى أسر المانشو النبيلة من قبيلة يهونالا المنشورية, كانت تتمتع بحضوة كبيرة في البلاط, أصبحتْ عام ١٨٥٢ محضية- زوجة ثانية- الامبراطور شيان فنغ (١٨٥٠-١٨٦١), وتمكنت من التأثير فيه وانتزاع سلطة القرار منه, وبعد وفاته أصبحتْ وصية على ابنها ولي العهد تونغ شي (١٨٦٢-١٨٧٥) وبعد وفاته نصّبتْ ابن اختها البالغ من العمر أربعة سنوات باسم الامبراطور جوانغ شو, لتضمن الوصاية عليه. كانت صحتها جيدة وحيويتها غير عادية, تتعاطى الأفيون باعتدال, وتستمتع كثيراً بتدخين غليونها بعد الانتهاء من عمل اليوم, كما اشتهرتْ بوحشيتها الدموية وغضبها القاتل. توفيت عام ١٩٠٨م. ينظر:هيلدا هوخام, المصدر السابق, ص٣٠٣؛ نوري عبد الحميد العاني, المصدر السابق, ص٨٧-٨٨.

(٦٤) محمد علي القوزي وحسان حلاق, المصدر السابق, ص٩٦.

(٦٥) المصدر نفسه, ص٩٦.

(٦٦) تعرف باسم هو- تشوان, أي قبضات التوافق الصالحة, ويطلق عليهم المؤرخون اسم الملاكمين, وهدف هذه الجماعة في الأصل هو خلع الامبراطورة, لكن الاخيرة تمكنت من اقناع زعمائهم بتوجيه جهودهم ضد الغزاة الأجانب. ينظر: ول وايرل ديورانت, المصدر السابق, ص٢٩٥.

(٦٧) عباس محمود العقاد, سن ياتسن أبو الصين, مؤسسة هنداوي, القاهرة, ٢٠١٤, ص١١٤.

(٦٨) خالد عبد نمال حوران الدليمي, ثيودور روزفلت وسياسة الولايات المتحدة الامريكية الخارجية (١٩٠١ - ١٩٠٩), دار غيداء للنشر والتوزيع, بغداد, ٢٠١٤, ص١٥٥-١٥٦.

(٦٩) ول وايرل ديورانت, المصدر السابق, ص٢٩٦؛ عفاف مسعد العبد, دراسات في تاريخ الشرق الاقصى, الاسكندرية, د.ت, ص٦٩-٧٠.

(٧٠) عفاف مسعد العبد, المصدر السابق, ص٧٠.

(٧١) خالد عبد نمال حوران الدليمي, المصدر السابق, ص ١٥٦.

(٧٢) هيلدا هوخام, المصدر السابق, ص٣١٠؛ صفاء كريم شكر العزاوي, السياسة الامريكية تجاه الصين ١٨٩٥-١٩٣١: دراسة تاريخية, اطروحة دكتوراه, غير منشورة, المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية, بغداد, ٢٠٠٥, ص٥٥.

(٧٣) عفاف مسعد العبد, المصدر السابق, ص ٧٤.

(٧٤) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٧٤.

(٣) نادية كاظم محمد العبودي, تطور الاوضاع السياسية الداخلية في الصين ١٨٥٠-١٩١١, اطروحة دكتوراه, غير منشورة, كلية التربية- ابن رشد, جامعة بغداد, ٢٠٠٦, ص٢١٧.

(٧٦) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٧٤.

(٧٧) نادية كاظم محمد العبودي, المصدر السابق, ص٢١٧.

(١) قسمت المدارس في اليابان، في ذلك الحين، على خمسة مستويات: المدارس الجامعية، والمدارس الكلية، والمدارس الوسطى، والمدارس الاعدادية، والمدارس الصغرى. ويعد المستوى الاول والثاني حكومياً، اما البقية فهي أهلية، والتعليم عندهم الزامي بين سن السادسة والعاشرة من العمر. ينظر: المصدر نفسه, ص٢١٨.

(٧٩) نوري عبد الحميد العاني، المصدر السابق، ص١٧٥.

(٨٠) هيلدا هوخام, المصدر السابق, ص٣١٠؛ نادية كاظم محمد العبودي, المصدر السابق, ص٢١٨.

(٨١) مجمع الامتحانات الامبراطورية في مدينة كانتون في عام ١٨٧٣م تقريباً. وعند دخول المرشح إلى المجمع سيخصص له رقم "حجيرة" في أحد الصفوف المعلمة. ويحتوي هذا المجمع على (٧٥٠٠) حجيرة. ينظر: دانيال كيه جاردنز, المصدر السابق, ص ٩٦.

(٨٢) هيلدا هوخام, المصدر السابق, ص٢٥٢.

(٨٣) يمثل لباس تحتي مكتوب عليه مئات المقالات النموذجية بحروف صغيرة جدا. وقد تخيط قمصان الغش مثل القميص البادي في الصورة، والتي كتب عليها نصوص الكلاسيكيات الكونفوشيوسية أو المقالات النموذجية في بطانة رداء الممتحن، ويستعين بها أثناء الاختبارات. ينظر: دانيال كيه جاردنز, المصدر السابق, ص ٩٨.

قائمة المصادر

أولاً: الرسائل والاطاريح الجامعية:

١. صفاء كريم شكر العزاوي, السياسة الامريكية تجاه الصين ١٨٩٥-١٩٣١: دراسة تاريخية, اطروحة دكتوراه, غير منشورة, المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية, بغداد, ٢٠٠٥.

٢. نادية كاظم محمد العبودي, تطور الاوضاع السياسية الداخلية في الصين ١٨٥٠-١٩١١, اطروحة دكتوراه, غير منشورة, كلية التربية- ابن رشد, جامعة بغداد, ٢٠٠٦.

ثانياً: الكتب باللغة الانكليزية:

1. Elizabeth Pollard, Worlds Together Worlds Apart, Norton & Company Inc., New York, 2015.
2. Michael Sullivan, The Birth of Landscape Painting in China University of California Press, 1962.
3. Micheal Dillon, Dictionary of Chines history, Fran: Cass and Company limited, great Bretain, 1979.
4. Teresa Ying Mulan, Confessions of a Chinese Heroine, Lehigh University Press, University Press Copublishing Division, 2021.

ثالثاً: الكتب العربية والمعربة:

١. أتربي ابو العز وعبد العزيز حمد, نبذة عن الصين, مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة, القاهرة, ٢٠١٥.

٢. افتخار عبد الحكيم رجب العكيدي واسماء مجيد محمود فرج الفهداوي, الاديان والمعتقدات في الصين, مجلة الدراسات التاريخية والحضارية, مجلد (١٣)، حزيران ٢٠١٢.

٣. تطور التربية في الصين ١٩٨٤-١٩٨٦, ترجمة: مكتب التربية العربي لدول الخليج, الرياض, ١٩٨٧.

٤. خالد عبد نمال حوران الدليمي, ثيودور روزفلت وسياسة الولايات المتحدة الامريكية الخارجية (١٩٠١ - ١٩٠٩), دار غيداء للنشر والتوزيع, بغداد, ٢٠١٤.

٥. خه جاو وو وآخرون, تاريخ تطور الفكر الصيني, ترجمة: عبد العزيز حمدي عبد العزيز, القاهرة, ٢٠٠٤.

٦. سلسلة كتب سور الصين العظيم: تاريخ الصين, ج١, مجلة "بناء الصين", بكين, ١٩٨٦.
٧. شريف سامي, مختصر حضارات العالم, دار دون للنشر والتوزيع, عمان, ٢٠٢٠.
٨. عفاف مسعد العبد, دراسات في تاريخ الشرق الاقصى, الاسكندرية, د.ت.
٩. عباس محمود العقاد, سن ياتسن أبو الصين, مؤسسة هنداوي, القاهرة, ٢٠١٤.
١٠. غانم علوان جواد الجميلي, جذور نهضة اليابان, العبيكان للنشر, الرياض, ٢٠١٤.
١١. دانيال كيه جاردنز, الكونفوشيوسية: مقدمة قصيرة جداً, ترجمة: اسماء الطيفي, مؤسسة هنداوي, القاهرة, ٢٠٢٤.
١٢. فوزي درويش, الشرق الاقصى: الصين واليابان ١٨٥٣-١٩٧٢, ط٣, طنطا, ١٩٩٧.
١٣. مايكل ديلون, مختصر تاريخ الصين, ترجمة: نانسي محمد, العربي للنشر والتوزيع, القاهرة, ٢٠١٨.
١٤. محمد علي القوزي و حسان حلاق, تاريخ الشرق الاقصى الحديث والمعاصر, بيروت, ٢٠٠١.
١٥. محمود ابو الفيض المنوفي, الدين والفلسفة والعلم: تطور الديانات منذُ أقدم عصورها الى الآن مع الشرح والتحقيق, ط٢, مؤسسة وكالة الصحافة العربية, القاهرة, ٢٠٢٠.
١٦. المعجم الثقافي الصيني, تر: امير عبد الرحمن الهلف وآخرون, العربي للنشر والتوزيع, القاهرة, ٢٠٢٢.
١٧. منير البعلبكي, المورد الحديث: قاموس انكليزي- عربي, دار العلم للملايين, بيروت, ٢٠٠٨.
١٨. ميلاد المقرحي, تاريخ آسيا الحديث والمعاصر: الصين اليابان كوريا, ط١, بنغازي, ١٩٩٧.
١٩. نوري عبد الحميد العاني, تاريخ الصين الحديث ١٥١٦-١٩١١, بغداد, ٢٠٠٣.
٢٠. هالة ابو الفتوح احمد, فلسفة الاخلاق والسياسة: المدينة الفاضلة عند كونفوشيوس, القاهرة, ٢٠٠٠.
٢١. هيلدا هوخام, تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين, ترجمة: اشرف محمد كيلاني, القاهرة, ٢٠٠٢.
٢٢. وضاح طاووش, علاج الالام والامراض باستخدام الابر الصينية, دار الكتب العلمية, بيروت, ١٩٧١.
٢٣. ول وايرل ديورانت, قصة الحضارة: الشرق الاقصى (الصين), مجلد (١), ترجمة: محمد بدران, بيروت- تونس, د.ت, ج٤.